

سيمبائية النص الموازي قراءة في رواية " زقنموت " لتحسين كرمياني

حسين عمران محمد

جامعة كرميان كلية التربية \ قسم اللغة العربية

Hussenomran76@gmail.com

المخلص

إنّ بحثي الموسوم بـ " سيمبائية النص الموازي قراءة في رواية " زقنموت " يسعى إلى مقارنة الرواية السادسة للقاص والروائي والمسرحي والمقال العراقي تحسين كرمياني ، وهذه القراءة تبحث في النص الموازي أو المرافق ، وتحديد الغلاف وكل ما عليه : اسم الشاعر ، عنوان الكتاب ، صور وأشكال ، ألوان ونوع الخط ، وهذه القراءة متكنة على المنهج السيميائي ، وهو منهج نقدي معاصر يشغل في الوقت نفسه مكانة مهمة في الساحة النقدية ، على اعتبار أن السيميائية أكثر المناهج عناية بالغلاف والعنوان ، ولساهمته في كشف مفاتيح النص الأدبي ، كما نحاول من خلاله الاجابة عن مدى ملائمة للثيمة المعالجة داخل النص . وقد استهل البحث بمقدمة نظرية مكثفة سلطت الضوء فيه على عناية السيميائية بالعبئات النصية ، ولاسيما العنوان والغلاف ، تلتها محورين الأول كان بعنوان العلامات اللسانية ، وتشمل عنوان الرواية ، اسم المؤلف والتعيين الجنسي . والثاني العلامات البصرية ، وتشمل الايقونة والرمز والخط . ثم ختم البحث باهم النتائج .

مقدمة

لم يعد الغلاف مجرد كرافية موجهة للبصر ، بل غدت حزمة علامات تشير إلى تعددية في المقاصد ، وطبقات من الدلالات بفعل مظاهر الاخراج ، وأشكال الانتاج ، ولاسيما حجم الورق وملمسها ونوعيتها إلى جانب التقنيات المستثمرة في تأنيث الغلاف وتزييقه بالالوان والخط والايقونة والكتابة بأكثر من لغة إلى غير ذلك من العلامات الدالة . هذه الانساق التعبيرية هي نتاج قصدية المصمم ، ومن ثم سيتخذ تحليلنا السلمية الاجرائية الآتية :
أولاً – العلامات اللسانية ، وتشمل سيميائية العنوان ، واسم المؤلف ، والتعيين الجنسي .
ثانياً – العلامات البصرية ، وتشمل الأيقونة والرمز والخط .

١- سيميائية العنوان : اعتنى علم السيميائية بالعنوان في النصوص الادبية باعتباره " علامة اجرائية ناجحة في مقارنة النص بغية استقرائه وتأويله " .^(١) والرواية التي بين أيدينا هو بعنوان " زقنموت " ، وهذا العنوان لا يرتبط فقط

ارتباطاً وثيقاً بـمضمون النص ، بل هو مجترح من الرواية نفسها ، ولا سيما الاحتمال الثالث من احتمالات الراوي الكلي العلم ، وهو يقدم تاويلات اللقطة الأخيرة لوجه ماهر بعد اعدامه " عيناه تبتسمان ، وبقياً صرخة عالية بشقتيه ربما كان يصطاد كلمات قصيدة جديدة هبطت عليه وهو يموت ، بعدما ... زقوني الموت زقاً (زقنموت) ها هم يرمونني في العراء ناسين أن الشعر ضياء ، والضياء لا يموت بصليبة عتاد " (٢) ادرك السيميائيون أن العتبات النصية هي السفير بين ضفتي عملية الانتاج والقارئ ولذا وجب أن يكون هذا السفير لبقاً ، حصيماً ، واعياً ، مرناً ، حتى تنجح تلك العملية " لأن فشلها يصيب النص الجيد ضرراً بالغاً . والعنوان مجموعة من العلامات اللسانية من الكلمات والجمل تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعيّنه ، وفي ضوء علم العناوين - المترشح من السيميائية - بوصفه أحد محركات تطور النقد الأدبي الحديث يمكن قراءة العنوان وفق ما يأتي :

(أ) - بنية العنوان الصوتية : العنوان علامة اشارية تواصلية له وجود مادي تتمثل في صياغته ونحته من مفردات لغة الكاتب أو لغة الكتاب . وما زال تعريف اللغة عند ابن جني له سيادته وفاعليته إلى وقتنا الحاضر وهي : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (٣) إن البنية الصوتية لعنوان الرواية تظهر هيمنة الاصوات المجهورة وهي (ز ، ن ، م ، و) على الأصوات المهموسة وهما (ق ، ت) وهذه الاشارية الصوتية تنسجم مع أحداث الرواية وشخصياتها ، ولاسيما الشخصية المركزية \ ماهر " لأن الوحدات السردية التي شكّلت عالم ماهر الروائي اتسمت بالظهور والجهر والقوة سواء في سماته الخلقية من الجمال والوسامة ، أم علاقته الغرامية ، أو نهايته التراجيدية . أما بالنسبة للسلطة فكانت السمة الغالبة لها هي العنف والقهر والبغي . وتتلائم دلالة صوت الزاي والتاء مع استهلال الرواية وخاتمتها " لأن تدفق أحداث الرواية كان " لحظة عبرت (مها) ممر الزقاق . كان (ماهر) منشغلاً بتهشيم زجاج الفرحة في عينيه " (٤) وهذه الوحدة السردية مكتنزة بجمولة دلالية رامزة تستشرف المستقبل واعلان لحدث جلل وجهر بثيمة من ثيمات السرد . أما خاتمة الرواية فقد تناغمت دلالة صوت التاء في لفظة " زقنموت " مع المقطع السردى الأخير المتأطر بالقسوة والظلم ، ومن ثم فإن هذا الظلم والعنجهية قد ترجمت صوتياً إلى فونيم التاء كون التاء من الاصوات المجهورة ، ومن صفاته الجهر والقوة .

(ب) - البنية الصرفية : إن عنوان الرواية هو في الاصل جملة فعلية مؤكدة بالمفعول المطلق ، وهو قوله : " زقوني الموت زقاً " (٥) ثم صيغ صرفياً بالية نحت إلى زقنموت ، والنحت " بناء كلمة جديدة من كلمتين متباينتين في المعنى والصورة ، بحيث تكون الكلمة الجديدة آخذة منهما جميعاً بحظ من اللفظ ، دالة عليهما جميعاً في المعنى " (٦) يتضح من نص

الرواية أن العنوان تشكل من لفظتي زق والتي تعني في واحدة من صيغها التداولية : " زق الطائر الفرخ يزقه زقاً ... وزقه : أطعمه بفيه " (٧) ومن لفظة الموت ، ومن ثم فإن العنوان عكس اقتصاداً لغوياً ودلالياً للنص كونه " نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تفري الباحث بتتبع دلالاته ، ومحاولة لفك شفراته الرامزة " (٨) إن توظيف آلية النحت أفقت إلى تقنية الاغراب اللغوي فنتج عن ذلك فجوة عند القارئ في تلقيه لهذه العلامة اللسانية – زقنموت – مما استلزم تدخل المؤلف لردم تلك الفجوة ، وتفعيل التواصل . وقد شكّل العنوان بوصفه اشارة منحوتة بقعة جذب للمتلقي ، ساحباً إياه لمنطقة القراءة والتأويل . وهذه الاستراتيجية كانت لها بالغ الأثر لو لم يحدد دلالتها المؤلف في خاتمة روايته ، لكنها تبقى وسيلة من وسائل تنمية اللغة وتكثير مفرداتها . وهذه الاشارة التواصلية _ اقصد العنوان – خلقت إلى جانب النحت اللغوي نحتاً آخرأ يمكن تسميته بالنحت الزمني " لأن العنوان يمكن توجيه قراءته باتجاهين معاكسين ، الأول : قراءة تناصية ، وهي في الواقع قراءة ارتدادية لاخترق الطبقات ، والولوج إلى الجذور "لأن لفظة زقنموت تحيل ثقافياً على لفظ زقنموت ، لكن قصديّة المؤلف والسياق الجديد عملتا على تحريف بوصلتها الدلالية لتنتفق من نواتها ماثولاً تسبح في فضاء اكثر تراجيدية .

من جهة اخرى فإن بنية العنوان يُستشف منها ايقاعاً زمنياً . فالقارئ للعنوان يتعرف على استباق لحدث أو أحداث في السرد قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن السرد " لأن العنوان يحمل دلالة سلبية تتحدد بزق الموت أو تقديم الموت طعاماً من السلطة الابوية المتمثلة بالحكومة الدكتاتورية إلى أبنائها أو مواطنيها .

(ت) - البنية التركيبية : في دراسة التركيب لأي بنية يحيلنا البحث إلى دراسة الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الرئيسة في عملية التواصل ، والملاحظ في عنوان هذه الرواية أنه جاء جملة اسمية ، المبتدأ فيها محذوف ، والذي يمكن تقديره بـ " طعام المعارضة " أو " مصير المعارضة " . وغياب المبتدأ المضاف قد يحيل إلى غياب قضية أساسية تتمثل بغياب العدالة والمساواة في مجتمع يتسيده نظام ايدولوجي منغلق يُغيب فيه أصوات المعارضين والمحالفين له . ومن ثم فإن النتيجة المترتبة لمعارضى النظام الشمولي هي زق الموت ، وهذا ماجسده حضور الخبر .

(ث) - البنية الدلالية : من الناحية الدلالية نجد العنوان يحمل عدة معاني فالوحدة المعجمية لـ " زقنموت " تشير إلى معاني غير سارة منها الاكتئاب والسوداوية والترح والفناء والقهر . ونرى تناسقاً عالياً لفظاً وشكلاً بين العنوان ، وبين حمّله لدلولات عميقة بعمق نفسية الروائي والبطل ، فالرواية رسالة للبشرية تحكي تراجيدية الانسان العراقي في زمن الحروب العبيثية لسلطة الدموية .

تلامس المعالجة السيميائية للنص الموازي وظائف العنوان بوصفها أبعاداً تداولية تتشظى من نواة العنوان . وهذه الوظائف كما حددها جيرار جينيت هي " الوظيفة التعيينية \ التسموية ، والوظيفة الاغرائية \ التحريضية والوظيفة الوصفية ، والوظيفة الدلالية الضمنية المصاحبة " .^(٩) ومقاربة تلك الوظائف تكون كالآتي :

أ- الوظيفة التعيينية \ التسموية : " زقنموت " كعنوان للرواية له وجود مادي سابح في فضاء الغلاف ، وهو يحدد هوية الكتاب ويسميه ، وهي وظيفة أساسية لأي عنوان .

ب- الوظيفة الوصفية : هي وظيفة براغماتية يريد المؤلف منها أحداث أكبر استجابة لدى المتلقي . والمؤلف هنا جعل عنوانه مشفراً ، أثار الكثير من التساؤلات ، وهذه الوظيفة هي " المسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان ، والصادرة عن عدد لا بأس به من المبدعين والمنظرين الذين أبدوا دوماً انزعاجهم أمام التأثير الذي يمارسه العنوان عند تلقي النص بفعل الخاصية التثقيفية الموجهة إلى القارئ " .^(١٠)

ت- الوظيفة الاغرائية \ التحريضية : يمتلك عنوان رواية تحسين كرمياني قوة جمالية في عملية جذب القارئ واغوائه " لأن وضع العنوان ليست نزهة بل هي عملية مخاض عسير حتى يولد ، ومن ثم فالمؤلف نجح سيميائياً في سحب القارئ إلى منطقة ادھاش المتلقي لبنية العنوان وتركيبه النحوي ، كون العلامة اللسانية " زقنموت " ذات ارتباط عميق مع المرسل إليه ، وما تمارسها من فعل تائيري ، إذ تحول العنوان بفعل بنيته الصرفية والدلالية إلى علامة تزقزق القراء وتغريهم لتناول قصيدة النص في وعائيه اللساني والانساني . إن الاغراء والاعواء تحومان حول العنوان بكثافة وعمق " لأنه بمجرد سماع لفظة " زقنموت " يطفو على سطح الذهن وبشكل مباشر تشويه دلالي لمفهوم العنوان ومعناه ، وتنتال ما المراد من لفظة زقنموت أو ما معناه ؟ فيأتي الجواب عن هذا السؤال من الرواية نفسها في موضعين ، الأول : في قوله : " تعود بانضباط ، تجلس بانضباط ، تتناول بكفك المترب مع كفوف آخر نسيت أن (النظافة من الإيمان) ، تنهي وجبتك وتتقدم من جدول ماء يشق أحشاء المعسكر ، لتغسل (قصعتك) تعلقها في مشجب مخصص لها ، كل هذه التراجيديا أقنعت الجنود أن طعام الجيش (زقنموت) وليس كما أسر الولد ابن الأصول (زقنموت) " .^(١١) الثاني في قوله : " بعدما ... زقوني الموت زقاً (زقنموت) " .^(١٢) ، ومن ثم تنقش تلك الضبابية الدلالية للعنوان ، وتكشف البنية الخفية له ، والذي يجسد مرثية حقيقية ، لكن البنية العميقة تتضح جلياً بأول كلمة من الفاتحة النصية للسرد وهي : " لحظة عبرت (مها) ممر الزقاق . كان (ماهر) منشغلاً بتهشيم زجاج الفرحة في عينيه " .^(١٣) فيصبح زق الموت رحلة مدتها " لحظة " وحتى بلوغ الشهادة والمجد .

ث- الوؤيفة الءالفة \ الؤنفة المصاحبة : ؤبى هؤه الوؤيفة هف الأقرب والأكؤر لصوقاً بالأعمال الءبفة من الوؤائف الأؤرى الؤف ؤغلب علفها السمة الؤءالفة " لآؤها ؤمء القارى بؤمولة فكرفة ، وؤفؤ الأؤواب على العملفة الؤاؤلفة للنص " لآن ؤلك العملفة ؤؤمن ؤبوة النص وءبمومؤه ، ومن هنا فكون العنوان " اؤارة مؤؤزلة ؤاؤ بعء اؤارى سبمبافى ... فؤسس لفؤاء نصف واءع ، قء فبؤر ما كان ؤاجعاً أو ساكناف فف وعى المؤلفف أو لاءعفه من ؤمولة ؤفاففة أو فكرفة فبءا المؤلفف معها فوراف عملفة الؤاؤل " .⁽¹⁴⁾ إن المؤامل فف العنوان وامؤءاءه فف الروافة فبء أنه فبؤر ؤلالاؤ سبمباففة كامنة منها ، لم ؤلوء الانسان لا فؤؤقق إلا ؤراجفءفاً ؟ وما ؤؤمة من اؤؤبار البؤر طالما أن ؤلك لا فبؤع الإله فف شفة ، ولا فبؤره ؟ والمؤؤبع للصراع وأؤكاله فف الروافة فلمس بوضوح أن صراع (ماهر) هو صراع فءفولوجف فف المقام الأؤل ، أما أؤكال الصراع الأؤرى الؤف أفرؤؤها شبكة النسبب الروافف فهف مؤرساباؤ طبفعفة لهؤا الصراع الفءفولوجف " لآن الانسان هو مرأة لآفكاره ومؤؤءاؤه فف ؤفة .

وانؤلاقاف من مقولة مفرلوبونؤف بـ " أن الشفة قائم فف مءى بصرف ، وبؤكل عام فف مءى اسؤكشافف ، وءونما أف افؤراض لما فمكن لعلم ؤسء الأؤر أن فعلمف فباه على الإقرار أن الطاوله الؤف امامف ؤقفم علافة فرفة بعفنف وبؤسءف ، إنف لا أراها إلا إذا كانت فف مرمف فعلهما " .⁽¹⁵⁾ فمكننا اسؤءمار مقولة مفرلوبونؤف فف قراءه موقع العنوان فف طوبوغراففة الغلاف ، وفك شفرة ؤبفز " زقنمؤ " فف أعلى فسار الغلاف ، وؤؤه ؤط أففص ، فلعوه اسم المؤلف . هؤا الءفكور اللسانف للغلاف اؤارة سبمباففة الى سفلفة عالم الامواؤ ؤهه لا عقفة ، وهؤه الءالة الرمزة ؤاء مؤابفة للسفاق الؤفاف لمنطقة الشرق الأوسط قءفما وؤءفاً ، كما اؤءء هنا قصءفة المؤلف مع قصءفة المصمم . أما وقوع عالم الامواؤ - المرموز فبفه بزقنمؤ - فف أعلى الغلاف فبمؤل علامه اقؤءار فف الؤماسك والاساق والمقصءفة ، وكؤلك اؤارة سبمباففة ؤففل على الانؤماء الءفنف فف ؤؤول العقفة البؤرفه ؤلال مسارها الؤارفخف ، كون شعوب هؤه المنؤقة كانت ؤؤمن بسفلفة عالم الامواؤ ، ؤؤبءل هؤه العقفة إلى الفمان بعلوفة هؤا العالم ، أف أنه فف السماء لا فف الأرض ؤهه وموقعاف . أما الءالة السبمباففة للعنوان فف ؤهه الفسار ؤؤففل على الكون القفمف للشؤصفة المرؤزة أو من فمؤلهم ، وهم على الطرف النقفص من السلؤة الءكؤاؤرفه وأنصارها ، بمعنى آؤر لما كان الاؤاه القومف هو مؤرك السلؤة وبؤرة فءفولوجفؤها ، وهؤا الاؤاه فبموضع على فبمف الؤط السببافى ، وعلفه فالنؤاؤنؤن لهم ؤؤمنا هم على طرف الفسار .

٢- اسم المؤلف : ؤؤن اسم المؤلف ؤؤسفن كرمبانف بالفؤفن العربفة والانكلفزفة على صفءه الغلاف ؤاكفءاف للؤؤور ، وللءاؤ المنؤزة ، وؤؤقفها للؤؤائف المنؤطة بها ؤؤر الاسم ، وهف ؤؤقف الملكفة . فهؤا المنؤز المعنؤن ؤؤل الاسم هم

بصمة فكرية للمؤلف . أما ظاهرة تكرار الاسم أي اسم المؤلف باللغتين العربية والانكليزية فلها دلالة القصديّة علاماتيّاً ، فقد بدء كتابة الاسم أولاً بالحروف الانكليزية وباللون الأبيض ، شاغلاً مساحة كبيرة من صفحة الغلاف بخلاف كتابة الاسم باللغة العربية الذي جاء باللون الأصفر ، وبمساحة بلغت ثلث صفحة الواجهة كما نلاحظ أن لقب " كرمباني " وهي احدى الأجزاء المهمة من كوردستان العراق ، ومعناها المنطقة الحارة في قبال " كويستان ، والتي تعني المنطقة الجبلية أو الثلجية . وعليه لا تخلو دلالة اللقب من بعد اشاري متضمن للحركة والثورة والغليان . ونلمس أيضاً أن اسم المؤلف سابق لعنوان الرواية ومتعالياً عليه ، وفي ذلك إيحاء يتضمن أن الاعمال الأدبية للمؤلف ، وإن نالت الشهرة وبلغت الابداع إلا أنّها متبوعة لا تابعة " لأن بعض المؤلفين يعرفون بأعمالهم ويُعلون بنتائجهم . ونرى تمايزاً بين اسم المؤلف ، وبين لون الحبر ونوع الخط . أما الخط المستعمل فهو الخط العربي الكوفي وهو عنصر أساسي في تصميم الغلاف ، إذ عالج المصمم أهم الافكار التي تناولها النص الروائي ، وهو خط الحق ، ومواجهة الدكتاتورية ، بخط مستقيم أبيض شغل أكثر من ثلث الغلاف ، وهو بذلك يشطر عالم الرواية إلى كونين متباينين فكراً وممارسة ، وهما الفن والسلطة الاستبدادية ، جاعلاً من تحسين كرمباني ممثلاً لفن وباللون الاصفر ، ورامراً للسلطة الدكتاتورية بلفظة " زقنموت " باللون الأحمر .

٣-التعيين الجنسي : عُرض في أعلى يسار صفحة الغلاف جنس العمل الأدبي ، وهو لفظة " رواية " وهذا التحديد علامة لسانية يضع مساراً أدبياً ونقدياً للمتلقي ، ولاسيما وفق مصطلح أفق التوقع ، أو أفق الانتظار بوصفه أحد المفاهيم الاجرائية في نظرية جماليات القراءة والتلقي . وهذا التعيين الجنسي المذيل لعنوان الرواية يزيل الالتباس الذي يواجهه القارئ أمام قراءة العنوان باحتمالات متعددة " لأن المؤلف تحسين كرمباني هو قاص وروائي ، ومسرحي ، ومن ثم فإنّ العنوان هنا لا يمكن أن يحدد بمفرده نمط الكتاب أو جنسه ، بمعنى أن " زقنموت " بتجرده الجنسي لا يعرف أهو قصة أو رواية أو مسرحية ؟ فجاءت كلمة " رواية " كتوسيم سيميائي بجنس أدبي معين .

ثانياً-العلامات البصرية : أصبح التباري في جماليات صورة الغلاف ، ودلالاته من سمات العصر الحديث في انتاج أغلفة الروايات والأعمال ، ولاسيما في حقل الأدب . وإذا كانت الصورة علامة فلا بد لها من الانضواء ضمن نسق معين يمنح هذه الصورة القدرة على انتاج الدلالة على اعتبار أن الصورة تعني تحويل التجربة الكتابية داخل العمل الروائي إلى تجربة بصرية . والغلاف بشقه البصري ذو دلالة سيميائية ، وتشمل :

١-أيقونة الرأس : يتوسط غلاف رواية " زقنموت " رأس مفتوح العينين تتوزع على مساحة الجمجمة والرقبة فراشات بألوان مختلفة تستقر على أوراق الشجر بدت بلون أصفر ذهبي فيما تداخلت أوراق غلب عليها اللون الرمادي ، فيما كانت بعض الفراشات في منطقة الضوء والاخرى في منطقة الظل راح قسم منها يطير مبتعداً وباتجاهات مختلفة ، إذ تمثل الفراشات الأفكار التي لم يستطع الشخص امساکها فربما تطير إلى عالم النسيان ، وإذا ما تلقفها الشخص يمكن إن يجعل منها مادة أدبية ، لذا نجد أرضية الجمجمة مليئة بالأوراق التي يمكن أن تثمر ، وقد تركزت الأوراق المشعة قريباً من الصدغ والعينين ، في دلالة موحية على أن الذهن أو الدماغ أناخ هذه الأفكار في منطقتيه " (١٦).

٢-أيقونة الفراشة : إن سيميائية الفراشة كإيقونة جاءت كرمز عالمي في الفكر والممارسة ، وبؤرة لجمع المتناقضات ، ويمكن قراءة هذه الإيقونة وفق مرجعيات متنوعة منها :

(أ) _ المرجعية الثقافية : بوصفها ترتبط بالجمال والتنوع والشمول " لأنها مختلفة الألوان ، وتعيش في بيئات متباينة على سطح الأرض . وفي أماكن مختلفة من العالم يتحدث العديد من الناس عن تحرك مشاعرهم التي ترتبط بالفراشات ، فيقولون أنها قادرة على توفير شعور جميل ورائع من البهجة والطمأنينة ، ومقدار عالٍ من الشعور بالسلام والراحة ، فترمز لدى الكثيرين بالأمل ويمدّهم بقدر كبير من الرقة والعاطفة . (١٧)

(ب) - المرجعية الأسطورية : يمكننا فك شفرة الفراشة على الغلاف ، وربط دلالتها بالمتن الحكائي بوساطة مرجعيتها الأسطورية ، ولاسيما في حياة اليونانيين " حيث كان قدماء الإغريق يعتقدون أن الروح تخرج من الجسد على شكل فراشة بعد الموت ، لذا كانوا يرمزون للروح بفتاة لها أجنحة فراشة " (١٨) وهنا نرى أن المصمم استثمر هذا الاعتقاد ، ووظفها في انتاج غلاف الرواية ، وبناءً على ذلك يكون الرأس الأدمي الأقرب إلى رأس فتاة هو رمز لروح الشخصية المركزية في أحداث الرواية . واستعاض المصمم عن الأجنحة الطائرة بتعليق الرأس بين السماء والأرض . أما تأويل كثرة الفراشات الرمادية أو السوداء ، والتي بلغت (٩٢) فراشة سوداء تحوم حول الرأس ، وواحدة داخل الرأس ، فهو يتكأ على الأسطورة في الموروث الفلبيني كمفتاح لفك مغاليق دلالاته إذ " يظن شعب الفلبين أن هناك علاقة تشاؤمية بين الفراشة السوداء تحديداً والموت " (١٩) ومن ثم تصبح أيقونة الفراشة علامة سيميائية استباقية تتعاضد مع العنوان كمرآة تعكس وقائع الرواية .

إن كثرة الفراشات السوداء ، أو الرمادية حول الرأس إشارة إلى أن الموت أكبر و أكثر من الأفكار الجميلة والعواطف النبيلة ، كالحب والزواج وبناء الأسرة والشعر والأدب إلخ . وتبقى تعددية تأويل تلقي الرموز بين الأفراد والشعوب

أمرأً ؤتمبياً ، لا مناص منه ، وفي ضوء ذلك يمكننا قراءة الفراشة بوصفها ايقونة ترمز إلى مشاعر الحب بين الأحباب والأزواج والزوجات في ميثولوجيا رومانيا .^(٢٠) وهذه الدلالة السيميائية تنسجم مع واحدة من أنبل المشاعر العاطفية في الرواية ، وهي رابطة الحب بين (ماهر ومها) ، وبين (ماهر والطبيعة والفن) ، (وبينه وبين أمه) . وفي سياق الدلالات الايجابية لرمزية الفراشة فإنّ حادثة موت ماهر شهيداً تعكس الخاتمة السعيدة والمشرقة لهذه الشخصية ، وهذا المعنى السامي يتساوق مع بعض معتقدات الناس الذين يقومون باطلاق الفراش كعادة تدل على حسن الختام ، والتمتع براحة أبدية " .^(٢١) كل تلك المعاني والسياقات هي مؤشر على توظيف ايجابي لايقونة الفراشة وخصوصية دلالاتها .

(ت) - المرجعية الصوفية : يرى الباحث أن توظيف المصمم لايقونة الفراشة يرتبط بتصريف الفراش المهلك ، وبالمعتقد الصوفي القائل بإمكانية الفناء والتوحيد في الذات الالهية ، وقد استلهم المصمم ذلك من إحدى لوحات القصيدة التي جاءت في خاتمة الرواية : " بعد ما ... زقوني الموت زقاً (زقنموت) هاهم يرمونني في العراء ناسين أن الشعر ضياء ، والضياء لا يموت بصليّة الأعداء " .^(٢٢) إن ابتكار هذه الصورة الشعرية ، وهو قوله : " إن الشعر ضياء ، والضياء لا يموت بصليّة الأعداء " اشارة سيميائية يمكن فهمها وادراكها بالتوازي مع عناصر الغلاف ، ولاسيما ايقونة الفراش ، وتأويلها بأنّها رمز إلى رحلة الشاعر \ ماهر ، وتلاشيها في ضياء الفن والشعر ، وهذا المستوى من الفهم هو انزياح للوعي والادراك الصوفي العرفاني ووتبادل للأدوار والمواقع ، فالشاعر حلّ محلّ الصوفي ، والشعر استوى على عرش الجمال الالهي . ويمكن أن تفهم تلك الايقونة على مستوى ثانٍ وهو أن الفراش يمثل الشاعر ، بينما تعبير " صليّة الأعداء " كناية عن السلطة الدكتاتورية ، ولكن بتحول دلالة رمز الفراشة إلى دلالة جديدة مغايرة وفق نسق مخالف للقوانين والطبيعة . فليس من المألوف أن يغش الشاعر النار ، ويتحول إلى جثة ، ثم يخرج مرة ثانية دون ان يمسه سوء ، بل يتقوّل إلى كينونة أرقى ، وهذا المستوى من القراءة والتأويل يتسق مع نظرية محيي الدين بن عربي (ت ٧٣٥هـ \ ١٢٤٠م) القائلة بديمومة تكرار الوجود ، والمتضمنة الجمع بين فكرة الفناء السلبي ، وفكرة البقاء الايجابي ، وإنّ " كلّ فناء لا يعطي بقاء لا يعوّل عليه " .^(٢٣)

٣- رمزية زهرة الياسمين : تعوض زهرة الياسمين بوصفها علامة بصريّة العلامات اللسانية : الشمية والذوقية واللمسية مجتمعة ، وقد اشتغل هذا الرمز النباتي على أبعادٍ مختلفة ، وهي الجسميّة والاجتماعية والفكرية والعاطفية لشخصية البطل . فمن جانب يستعمل رمزاً " لحلاوة المؤنث والجمال ، كما ترمز أيضاً للمشاعر العميقة وللسعادة والإنافة " .^(٢٤)

وهذه القيم والدلالات تتناغم مع الصفات المادية والمعنوية للشخصية المركزية \ ماهر ، فهو شاب وسيم عمراً وهياً ، ونظمه الشعر مرآة لروحه الشفافة . ومن سمات هذه الشخصية أيضاً أنها استهلت حياتها بالعشق والحب وانتهت بالتضحية والشهادة . لذا يرى الباحث أن المصمم برع في اضعاء التوازن النفسي والانسجام العلاماتي في انتاج الغلاف " لأن التدرج اللوني للغلاف بالتزامن مع العنوان – زقنموت- يولدآن شعوراً سلبياً وانقباضاً نفسياً ، وقد أزيحت تلك الاستجابة بتوظيف الياسمين ، المستعملة لتهدئة الأعصاب والعواطف في الموروث الطب الهندي .^(٢٥)

٤-سيمياءية الخط : إن الخط العربي الكوفي بوصفه علامة يمارس وظيفة ، لا يمكن اغفاله أو التغافل عنه في النظرية السيمياءية " لأنه " نتاج مادي محسوس يكشف عن ماهيات التفكير ، وخصوصيات التعبير ، كما يكشف عن آليات الذهن البشري إزاء معطيات المعرفة المحيطة ، اضافة إلى دلالاته الجمالية أي باتخاذ كفن ذي جمالية تأثيرية خارج حدود مهماته التوصيلية والتدوينية الصرفة " .^(٢٦) والمتتبع لبناء الرواية يلمس بوضوح اشتغالها على ثنائيتي المركز والهامش وتمثلاتهما السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ولا سيما ثنائية المثقف المتمرد \ السلطة القمعية ، والمترفين \ الجياع ، والكلمة \ البنادق ، ومن ثم يرى الباحث أن دلالات الوضوح والتوازن والدقة كانت مصدر استلهام لمصم الغلاف (ديمو برس) لانتقاء نوع الخط ، أي الخط الكوفي سواء في كتابة عنوان الرواية أم اسم المؤلف . إن كتابة العنوان بالخط الكوفي السميك هو انعكاس بصري لمحتوى الرواية ومغزاها ، إذ ينقل القارئ إلى عالم الوضوح والتوازن والدقة والتوزيع والترتيب والسرعة ، وكل هذه المعاني والقيم هي خصائص الخط العربي الكوفي ، فيستحيل العنوان بهذا النمط من الخط إلى علامة فنية ودلالية بارزة . وبوساطة هذا الشكل من الخط رسم لنا المصمم لفظة " زقنموت " كأيقونة للتأبوت .

٥-سيمياءية الألوان : تتبع عناية السيمياءية باللون من البرمجة البصرية لما تراه الذات الفاعلة ، وأثره على مسارها الدلالي داخل النصوص ، فالذات أو باقي العوامل المتحركة داخل العالم الحكائي حين تتفاعل مع الضوء ، والألوان تنشئ مجالاً للتوتر والصراع فيما بينها ، وأيضاً مع موضوع قيمتها ما يؤثر على تمفصلات الدلالة وتحولاتها .^(٢٧) لا شك أن العنوان يحيل على الموت ، لكن هذه الاحالة تتسم بالغموض " لأن الموت بوساطة اللون يمنحنا دلالات متعددة ، ومن ثم يبدأ القارئ بإطلاق تأويلات ممكنة لتطويق الإيحاءات التي تبعثها لفظة الموت ، ومنها :

الموت الأبيض إذا كان سبب الموت طبيعي .

الموت الأسود : ومن تجلياته الحرق إلى درجة التفحم .

الموت الأزرق بفعل الخنق أو الاختناق أو غير ذلك .

الموت الأصفر : نتيجة النزف الداخلي .

الموت الأحمر : نتيجة اصطباغ الجسم بالدم .

ومن أجل ذلك قام السرد في رواية " زقتموت " بحصر هذه الاحتمالات العائمة ، من خلال منح المتلقي علامات نصية ينطلق منها لتأكيد احتمال بدل عن احتمال آخر . والاحتمال الخامس كان التحقيق العياني ، و الترجمة الفعلية لسبب الموت ، والدليل النصي الذي يعضد تأويلنا ، هو هذا المقطع من الرواية : " وفي لحظة صمت ، وغمض جماعي للكثير من العيون ، سقطوا على رشق بنادق من ايدي أحد عشر جندياً باركين خلفهم بمسافة عشرين متر ... أحد عشر شاباً ساقطاً يسبحون في برك دماء صغيرة ... من بين الجثث كان ماهر معروفاً بيد واحدة مربوطة إلى عنقه عكس البقية ، كلهم كانوا مثقوبي الظهر ، وحده كانت الرصاصات تسكن صدره ... أن من بين الأحد عشر كوكباً من كواكب رافضي الحرب ، واحداً فقط من بينهم قفز إلى الوراء واستقبل الموت برحابة صدر " ^(٢٨) ظهر من النص السابق أن زق الموت كان بالإعدام رمياً بالرصاص ، والسباحة في بركة دم بوصفه ماثولاً وظفه المصمم لتفعيل تقنية الاستباق ضمناً عن حدث سيشهده السرد الروائي في وقت لاحق ، ومن ثم اتكأ المصمم على اللون الأحمر سيميائياً لتحقيق وظيفة استشرافية هي التمهيد أو التلميح لما سيجري سرده من الاحداث لاحقاً . ^(٢٩) وبذلك يكون غايته حمل المتلقي على توقع حدث ما أو التكهن بمصير أو مستقبل إحدى شخصياتها . ^(٣٠)

ومن منظور ثانٍ فإن اللون الأحمر ، وإن كان مرتبط بالعنف والاستفزاز والحقد لكنه يعبر عن الجمال والحب والاستقرار ^(٣١) .

إن الدلالات السلبية لسيميائية اللون الأحمر في السرد الروائي تمثلت بالسلطة الشمولية ، ولاسيما بلجنة الاعدامات . أما الاتجاه الايجابي للأحمر فتجسد بانتاج الشخصية المركزية في الرواية عمله الفني الأخير وهو القصيدة ، والملفت في هذه القصيدة ، ولاسيما لاحتها الثالثة أن الحب والاستقرار دلالتان مهيمنتان عليها ، والدلالتان تتجهان نحو طبقة اجتماعية محددة هي الفقراء والمساكين صانعوا اسطورة الوطن . إن اصطفاء الأحمر بوصفه دالاً رمزياً هو خرق لأحد مبادئ دي سوسير القائل باعتبارية العلامة إذ نلمس القصديّة في هذا الاستعمال اللوني باحترافية مقنعة ، ويتماثل رؤيوي مع علماء الطاقة القائلين بـ " أن اللون الأحمر يرمز للإنتماء وأن أثر موجة اللون وتردده على الجهاز العصبي

وؤلايا الجسم تقوى روح الانتماء ، فالشؤص الؤى عاش ؤالة من الاؤلال الؤسرى أو الشؤص المغؤرب أو الؤى يشعر بالوؤدة يكون بؤابة الى اللون الاحمر " (٣٣).

ومن ثم نلمس ؤلياً أن هذا اللون فى نص العنوان ؤؤول من الرقة والؤب الى الموء والاؤؤراب ، وأصؤ مءالاً لؤباع الروح بالبؤؤ عن الؤلم _ حلم الؤرىة والءءالة والمساواة - هذه القىم وؤبرها ؤانؤ نسىؤ الشؤصىة المركؤىة فى روابة زؤنموء وقد أؤضعها المؤلف لبعض الاؤؤراطاء المؤلىة ، فى ماسؤؤاة من عمق الواقع العراقى فى شكلها ومضمونها وؤؤدداً مءىنة ؤولواء ، وفى هذا السىاق يآئى ماهر المؤؤل بمؤاعب الؤىاة مهىبا للاؤطلاع بهذا الدور المركؤى ؤؤى يأمكن المؤلف من ؤمرىر ؤؤابه الؤبى المؤؤر اىءىولوجىاً . وىمكن ان نؤلم بعض المؤؤشرات الءالة على ؤقاسىم الشؤصىة ؤما يآئى :

- ١- فهو عراقى الؤى والهوىة .
- ٢- ؤان يءىم الأب أى مؤروماً من السنء العاطفى والمعنوى .
- ٣- من الفؤاء الشؤابىة المءطلة .
- ٤- من المؤىط الاجؤماعى ولىس المركؤ .
- ٥- اؤساسه بالاؤؤراب النفسى والاجؤماعى نؤىؤة للؤروب العبئىة وؤؤقالىء الاؤؤماعىة المؤروؤة .
- ٦- ؤامل لأىءىولوجىا واضؤة المءالم ومءابىة للواقع المبؤؤل .

ؤل هذه المركبائ الؤى آؤؤ به المؤلف شؤصىة (ماهر) ؤؤل منه شؤصىة مءفرءة عن وؤبرها من الشؤصىاء ، يؤاف إىبه اسمه الؤى آؤبر بامعان لما يؤمله من مءول اىؤابى . إن الشؤصىة المركؤىة ؤان مءعصشاً للأؤمر وهو ما ؤؤلى ؤباً وشهائة .

أما اللون الأبىض سىمبائىاً فهو " مرؤبؤ بالبراءة والرقة والسلام وؤؤؤىة وؤطهارة والنظافة والنور " (٣٣) فى ؤىن أن الأؤفر سىعبر عن لون ضوء الشمس ، وعن السرور ، ؤما أنه لون منؤط للؤكر الفلسفى ، وىرمز للؤظمة وؤؤورة وىؤابله الشؤل المؤؤل من الأشؤال الهندسىة ، وىرمز الى العلم (٣٤) وهذه الءالات ؤعكس شؤصىة الروائى وعالم الروابة .

ونرى ؤءرؤا لونىاً لؤفىة الغلاف بءءاً من اللون المائل الى الؤؤرة ثم الازرق الفاءؤ وانؤهاء بالازرق الغامق المائل الى السواء ، ؤل الالوان ؤعكس على الماسؤى السؤىى الارؤ والسما ، أما ؤلالة الازرق سىمبائىاً فهو بءد " من ألوان المؤموعة الباردة ، أنه لون البروءة والصفاء ، وىؤلل من الهىاب وؤؤورة ، وىساعد على الاسؤقراق وؤؤركىز ، وىرؤبؤ هذا اللون بالسما والماء فى الطبىعة ، وهو لون مناسب للوءوء وبروءة اللىل ، والازرق إن اؤؤمع مع الأؤؤر فهو يأمثل أؤصى

درجات البرودة ، ويوحى بالخفة والخيال ، فهو يعبر عن الحساسية والحيوية ، وعن تأثيره النفسي فهو يوحى بالحقيقة والتجانس ، ويقابله في العلوم المختلفة الفلسفة ، ويمكن تشبيهه هندسياً بالدائرة ، وهو لون شفاف مبلل يدعو الى الخوف ، وإلى الاحتقار في الوقت نفسه " (٣٥) أما الازرق الفاتح فهو "رغبة في الانطلاق بالكلام وحباً في التعبير عن الذات " (٣٦)

إن تحرر الروح من سجن الجسم المادي والعروج نحو العوالم اللانهائية ، ولاسيما إذا كان التحرر بالشهادة يضيء هدوءاً الى مرتبة البرود في كينونة الروح ، كما يضيء استغراقاً عميقاً للروح في سباحتها في عالم الملكوت ، وإن رحلة الروح في عوالمها المتعددة بدءاً من عالم العقل ، والذر ، والدنيا والبرزخ ، ثم الحشر والجنة – للصالحين والشهداء – تأخذ شكلاً هندسياً دائرياً يعبر عنه أهل العرفان بقوسي النزول والصعود . والبرود المقصود منه في هذا السياق هو بلوغ أعلى مراتب اليقين في المعارف والحقائق ، وكل هذه المعارف والمقامات لم يكن تنالها الشخصية المركزية – ماهر – إلا بالشهادة . إذن الدلالات اللونية للغلاف تعكس بعمق فلسفة الشهادة ، وتضئ جلياً الجانب الروحي والمعنوي لشخصية ماهر .

٦- إيقونة البدوي : نجد في أسفل يسار الرأس على غلاف الرواية شكل بيضوي محاط باللون الاحمر، ويتوسط هذا الشكل رجل بدوي يرتدي الزي العربي – العقال والكوفية – جالساً على صخرة وبين يديه كتاب مفتوح ومستقبل جهة الشرق . هذه الايقونة البصرية هي علامة تحيل على المؤسسة العربية للدراسات والنشر وهي الجهة المسؤولة على نشر الرواية ، وما تترتب عليها من حفظ حقوق الطبع ، وتعكس في الوقت نفسه وظيفة الاعلان والدعاية للمؤسسة .

الخاتمة

أفرزت المعالجة السيميائية للنص الموازي في رواية " زقنموت " حزمة من النتائج هي :

- ١- يعد العنوان احدى استراتيجيات المبدع لاقتناص المتلقي ، والشرك النصي لتنفيذ قراءة العلامات السيميائية .
- ٢- لصورة الغلاف علاقة بالنص الروائي كطرح ، وعلاقة غير مباشرة .
- ٣- شعرية العنوان هي بفعل الانزياح الصرفي ، والبنية النحتية ، كونها بنية بكر على المستوى التداولي .
- ٤- اعتنى المصمم بانتاج الغلاف في ضوء أحداث الرواية والتاريخ والسوسيولوجيا والاسطورة والاستعانة بعلم النفس ودلالات الالوان وأشكال الخط .
- ٥- تعتمد قراءة العلامات السيميائية على التأويل التفكيكي ، والتأويل التداولي .

Semiotics of the Parallel Reading in the novel " Zeknmt" By Tahsan Germiani

□

Hussein Omran Mohammed□

University of Garamian \ Faculty of Education \ Department of Arabic Language□

Abstract □

My research entitled " Semiotics of Parallel Teading in for the " Zeknmot" By Tahsin Germiani "seeks to approach the sixth novel of the Araqi novelist, novelist, playwright and essayist Tahsan Germiaani. This reading examines the parallel or accompanying text ,specifically the cover and all that it has : the name of the poet , the title of the book, Colors . and type of line the monetary arena on the basis that semiotics most approaches address and cover and its contribution to the detection of the keys to literary text and its relevance to the word processing within the text. The research began with an intensive theoretical introduction which highlighted the attention of semiotics to the textual thresholds followedby tow axes. The first was entitled the linguistic signs, which include the authors name and the literary genre. The second visual marks include the background of the cover , icon and symol . Then the research concludes with the most important results.

هوامش البحث ومصادره :

- ١- التحليل السيميائي للبنى السردية في رواية "حمامة سلام" د. نجيب الكيلاني ، بلقاسم دفة : ٢٠٠٣ م : ٢٨ .
- ٢- زقنموت \ رواية : تحسين كرمياني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ : ٣٤٠ - ٣٤١ .
- ٣- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى ٣٩٢هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١ / ٣٣
- ٤- زقنموت : ٧ .
- ٥- م . ن : ٣٤٠
- ٦- النحت في اللغة العربية ، د. نهاد موسى : ٦٧ .
- ٧- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، مادة (زقق) : ١٠ \ ١٤٢ .

- ۸-العنوان وسيمپوطيقا الاتصال الادبي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٨ م : ١٥ .
- ۹-عتبات (جيار جينيت من النص الى المناس) ، عبد الحق بلعابد ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٨ :
- ۱۰-سيمياء العنوان ، بسام قطوس ، وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠١ م : ٩ .
- ۱۱-زقنموت : ١١٤ .
- ۱۲- م . ن : ٣٤٠
- ۱۳- م . ن : ٧
- ۱۴- سيمياء العنوان ، بسام قطوس : ٣٦
- ۱۵- المرئي واللامرئي ، موريس ميرلوبونتي ، ترجمة عبد العزيز عيادي ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، ط ١ ، ٨٥ :
- ۱۶- غواية العنوان ومشاغلة الحدث (دراسة في روايات تحسين كرمياني)، د. ماجد عبدالله مهدي القيسي ، مجلة ديالى ، ع ٧٠ ، ٢٠١٦ : ٤٩٨
- ۱۷- ينظر إلى ماذا ترمز الفراشة ، ضحى اسماعيل و اكتوبر ٢٠١٥ ، mawdoo3.com .
- ۱۸- منتديات غروب للحوار الوطني ، د. سيراوي ، المدرسة العربية ، أيلول ٢٠٠٣ ، www.schoolaribia.net
- ۱۹- إلى ماذا ترمز الفراشة ، ضحى اسماعيل و اكتوبر ٢٠١٥ ، mawdoo3.com .
- ۲۰- ينظر م . ن .
- ۲۱- م . ن .
- ۲۲- زقنموت : ٣٤٠-٣٤١
- ۲۳- " حول رمز الفراشة بصفته أداة للمصالحة والتنازلات السياسية في الشعر الديني في اواخر العصر العثماني ، عبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ \ ١٧٣٠م) نموذجاً ، م ز م ابا حسين ، www.maaber.org
- ۲۴- معلومات عن زهرة الياسمين ، آلاء جرار و نيسان ٢٠١٦ ، mawdoo3. Com
- ۲۵- م . ن .
- ۲۶- توظيف الخط الكوفي في تصاميم المنسوجات العباسية ، دلال حمزة محمد الطائي ، كلية الفنون الجميلة ، بحث على النت ، ٢ \ ١١ ، ٢٠١٧ .
- ۲۷- سيميائية اللون واستراتيجية الدلالة في رواية " أهل البياض " لمبارك ربيع ، وافية بن مسعود ، انسانيات ، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية : ٢٨
- ۲۸- زقنموت : ٣٣٩-٣٤٠
- ۲۹- خطاب الحكاية ، بحث في منهج جيار جينيت ، مجموعة من النقاد ، المشروع القومي للترجمة و ط ٢ ، ١٩٩٧ : ٧٩ .
- ۳۰- ينظر بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ م : ١٣٢ .
- ۳۱- ينظر عناصر الرؤية عند المخرج المسرحي ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٦ : ١٩٦ .
- ۳۲- دلالات الالوان في علم النفس ، العيادة والتنمية البشرية ، منتدى عدلات من قسم العيادة النفسية والتنمية البشرية .
- ۳۳- عناصر الرواية عند المخرج المسرحي : ١٩٧
- ۳۴- م . ن : والصفحة نفسها .
- ۳۵- م . ن والصفحة نفسها .
- ۳۶- دلالات الالوان في علم النفس ، العيادة والتنمية البشرية ، منتدى عدلات من قسم العيادة النفسية والتنمية البشرية .

